سلسة "طب القلوب"

علاج الحسد

د/ عبد الحي الفرماوي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن

بجامعة الأزهر

الكتاب: علاج الحسد

تأليف: د/ عبد الحي الفرماوي

بريد إلكتروني: www.islamguidance.com

الناشر: دار أريج للنشر

4 شارع اليسر- متفرع من شارع مكة- الدقي.

ص.ب: 463 الدقي.

ت&ف: 3387836 ـ 3366963 ـ 3379910 (202)+

البريد الإلكتروني: info@areej.com.eg

موقعنا على الإنترنت: www.areej.com.eg

رقم الإيداع 17942 / 2003

الترقيم الدولى 4 - 29 - 6103 -977

الطبعة الأولى: 1424هـ ـ 2003م

دعوة

إذا كان لديكم فكرة أو عمل مميز، هادف، نافع، يخدم أمتنا العربية، في أي ميدان من ميادين العلم، فإن أريج يشرفها التعاون معكم.

علاج
الحسد

مقدمة الناشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين، وعلى آله وأصحابه الذين اتبعوه، واقتدوا به إلى يوم الدين. وبعد:

الناشر

أريج للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى

﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾

[الفلق: 5]

*   *   *

وقال ﷺ

"لا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا"

[رواه: الشيخان]

تساؤل .. واتفاق

عزيزي القارئ ..

هل شعرت يومًا: بأنك في غاية الضيق والحسرة؛ بسبب ما تراه عند غيرك، من بعض نعم الله عليه. . كصحة في جسمه، أو راحة في باله، أو نجاح لأولاده، أو كثرة في ماله. . ؟

وهل تمنيت أن تذهب منه الصحة، أو تضيع منه راحة البال، أو يفشل أولاده، أو يخسر في ماله. . ؟

* * *

إذا كان هذا. . أو بعض منه قد حدث. . ؟

فأنت مريض، وبقراءتك لهـذا الكتاب: قد بقى فيك خير كثير. . !!

حيث إنك: تريد العلاج. .

* * *

ولكن. . ما هذا المرض. . ؟

إنه عزيزي القارئ: مرض قلبي.

* * *

فهل تريد. . أن تَعِرْف، وتتعَّرف، على هذا المرض. . ؟

لا تخجل..

قل: نعم.. مرضاة لله تعالى..!!

* * *

وهل إن عرفت، وتأكدت- لا قدر الله- أنك مريض: عندك الاستعداد للعلاج من هذا المرض.. عن طريق (طب القلوب)..؟

لا تخجل..

قل: نعم.. مرضاة لله تعالى..!

* * *

إذن.. أدعوك- الآن- لقراءة هذا الكتيب..

فنحن.. من خلال صفحاته، وبعون الله تعالى، وإفادة من: القرآن الكريم، وسنة النبي ﷺ، وسيرة السلف الصالح، وكتابات العلماء العاملين..

نبين الداء..!!

ونصف الدواء..!!

ومن الله يكون الشفاء..!!

* * *

والله تعالى: يهدينا ويهديك، ويعافينا ويعافيك..

إنه سبحانه.. ولي ذلك، والقادر عليه.

نقاط البحث

نتناول- بتوفيق الله تعالى- طب هذا المرض في النقاط التالية:

(أ) أعراض الحسد.

(ب) مخاطر الحسد.

(ج) المصابون بالحسد.

(د) أسباب الحسد.

(هـ) علاج الحسد.

وذلك على النحو الذي تطالعه- شفاني الله وإياك منه- في الصفحات التالية:

أعراض الحسد

أن يكره الحاسد: نعمة المحسود، وأن يتمنى زوالها من صاحبها.

كما أن الحاسد: يتحسَّر لوجود الخير عند غيره، أيًا كان هذا الخير، وأيًا كانت هذه النعمة.

يقول ابن المقفع: يصاب الحاسد.. بطول أسَفٍ، ومخالفة كآبة، وشدة تحرُّق.

كما أنه: لا يَبْرح ناقمًا على نعمة الله عند المحسود، ويُكَدِّر على نفسه، فلا يجد للنعم عنده طعمًا، ولا معها راحة، ولا يزال ساخطًا على من لا يترضَّاه، ومُتسخِّطًا لما لَنْ ينال فوقه.

فهو: مُنَغَّصُ المعيشة، دائم السَّخْطَه، محروم الطِّلبَة.

لا بما قسم له يَقْنَع، ولا على ما لم يُقْسَم له يقدر ويغلب[1].

وقال بعضهم: الحاسد.. عدو مهين، لا يدرك غرضه إلا بالتمني.

وقال الأحنف: لا صديق لملول، ولا وفاء لكذوب، ولا راحة لحسود، ولا مروءة لبخيل، ولا سُؤْدُدَ لسيئ الخلق[1].

ومما ينبغي أن يلاحظ جيدًا: أن هناك فرقًا بين الحسد وبين عدة أمور، هي:

الغبطة، والمنافسة، وعين الحسود.

(أ) فأما الغبطة: فهي أمر محبوب مطلوب.

حيث يتمنى المؤمن- في الغبطة- أن يكون لديه ما لدى أخيه المسلم من خير وفضل، دون تمني زوال هذا الخير أو هذا الفضل من عند أخيه صاحب هذه النعمة[2].

يقول الحبيب ﷺ: "لا تحاسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن، فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، فهو يقول: لو أني أوتيت مثل ما أوتي هذا.. لفعلت مثل ما يفعل.

ورجل آتاه الله مالاً، فهو ينفقه في حقه، فيقول: لو أوتيت مثل ما أوتي.. عملت فيه مثل ما يعمل"[3].

(ب) وأما المنافسة: فهي طلب التشبه بالأفاضل، من غير إدخال ضرر عليهم.

وهي: داعية إلى اكتساب الفضائل، والاقتداء بأخيار الفضلاء.

يقول الشاعر:

نافس على الخيرات أهل العلا
فإنما الدنيا أحاديث

كل امرئ في شأنه كادح
فوارث منهمُ وموروث

(ج) وأما عين الحسود: فلها حديث خاص آخر في كتيب مستقل من هذه السلسلة.

مخاطر الحسد

ولأن الحسد: داء وبيل، ومرض ذميم..!!

ولأنه من أوصاف اليهود ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة:109].

ولأن رب العزة.. قد علمنا الاستعاذة به سبحانه منه، وجعله آخر الشرور- التي نستعيذ منها- لخطورته، في قوله تعالى:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * من شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [سورة الفلق]..!!

ولأن النبي ﷺ.. حذَّر منه، وأبْعَدَ أمته عنه، في قوله ﷺ: "إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسَّسوا، ولا تجسَّسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا"[4]..!!

وفي قوله ﷺ: "دب إليكم داء الأمم، الحسد والبغضاء، هي الحالقة.

لا أقول: تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين.

والذي نفسي بيده: لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا

تؤمنوا حتى تحابوا.

أفلا أنبؤكم بما يثبت ذلكم لكم..؟

أفشوا السلام بينكم.»[5].

* * *

لهذا وغيره..

كان من اللازم.. أن نبين بعض مخاطره؛ رجاء الوقاية منه، والعلاج له.

ومن هذه المخاطر:

1. أنه يؤذي صاحبه، قبل أن يؤذي غيره.

حيث يصيبه: بالحسرة على فوات نعمة المحسود منه وتخطيها له، بالكآبة والشعور بالحرمان من دون أصحاب النعم، وعدم الرضا بما أنعم الله عليه به منها.

يقول معاوية ﷺ: ليس في خصال الشر أعدل من الحسد، إذْ هو- أي الحسد- يقتل الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود.

ويقول ابن المقفَّع: لم نر ظالمًا أشبه بمظلوم من الحاسد، طول أسف، ومحالفة كآبة.

ويقول: الحاسد.. منغّص المعيشة، دائم السَّخْطه، لا بما قسم له يقنع، ولا على ما لم يُقْسَم له يقدر.

والمحسود: يتقلب في فضل الله، مباشرًا للسرور، منتفعًا به، ممهلاً فيه إلى مُدَّة لا يقدر الناس لها على قطع أو انتقاص.

وقد أدرك هذا ابن المعتز..

فقال:

اصبر على كيد الحسود

فإن صبرك قاتله

فالنار تأكل بعضها

إن لم تجد ما تأكله

2. الاعتراض على الله تعالى.

حيث إن الحسد.. نوع من الاعتراض على أفعال الله تعالى، واتهام الله عز وجل في حكمته العالية، وتطاول إلى مقام يجب على المؤمن أن يقف دونه.. موقف الأدب والرضا والتسليم.

إذْ هو: يتنافى مع الإيمان.

لذلك: هو والإيمان لا يجتمعان في قلب عبد[6].

يقول ﷺ: "لا يجتمعان في قلب عبد: الإيمان والحسد"[7].

ولذلك يقول الشاعر الحكيم:

أيا حاسدًا لي على نعمة
أتدري على من أسأت الأدب
أسأت على الله في حكمه
لأنك لم ترض لي ما وهب
فأخزاك ربي بأن زادني
وسدَّ عليك وجوه الطلب

وهذا الاعتراض يؤدي بالضرورة إلى:

سُخْط الله عليه، ومَقْته له، ومن سَخطَ اللهُ عليه: أسخطَ عليه خلقه، فلا يجد فيهم مُحِبًّا، ولا بينهم صديقًا، ولا منهم ناصر ووليًا.. بل يصير عندهم عدوًا، وعنهم مبعدًا مطرودًا.

يقول عبد الله بن مسعود ﵁[8]: لا تعادوا نعم الله.

قيل له: ومن يعادي نعم الله..؟

قال: الذين ﴿يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَآ آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِه﴾ [النساء: 54].

وقال بعض الحكماء: ما أمْحَق للإيمان، ولا أهتك للستر.. من الحسد.

وذلك: أن الحاسد.. مُعاند لحكم الله، باغ على عباده، عاتٍ على ربه، يعد نعم الله نقَمًا، وعدل قضائه ظلمًا.

للناس حال وله حـال.. لا يهدأ ليله، ولا ينام جشـعه، ولا ينفعه عيشه.

محـتقر لنعم الله عليـه، متسخط لما جـرت به أقداره، لا يبرد غليله، ولا تؤمن غوائله.

إن سالمته: أصابك بالمكروه.

وإن واصلته: قطعك.

وإن قطعته: سبقك[8].

وفي بعض الكتب: عدو لنعـمتي، متسخِّـط لقضائي، غير راضٍ بقَسْمي بين عبادي[1].

3. يضعف اليقين، ويأكل الحسنات، ويرفع البركة.

حـيث إن الحاسـد: لا يثق بقضـاء الله، ولا يرضى بما قسم له.

كمـا أن الحسـد: أول ذنب عصي الله به في السـماء، وأول ذنب عصي الله به في الأرض.

فأما في السماء: فحسد إبليس.. لآدم.

وأما في الأرض: فحسد قابيل هابيل[8].

ولذلك قال سليمان التيمي:

الحسد: يضعف اليقين، ويسهر العين، ويكثر الهم[8].

ولا غـرابة.. إذا أضعف الحسـدُ يقينَ صـاحبـه، وهز

ثقته، وأضاع طمأنينته، وأكل راحته: أن يبعده عن ساحة الرضا بما قسم له ربه، بل ربما أدخله- كما سبق ذكره- دائرة الاعتراض على قدر الله.

وهنا: تتآكل حسناته، وتكثر سيئاته.

يقول ﷺ: "إياكم والحسد، فإن الحسد: يأكل الحسنات، كما تأكل النار الحطب"(9).

ويقول أنس بن مالك رضي الله عنه: رفعت البركة عن خمسة، عن:

الناكث.

والباغي.

والحسود.

والحقود.

والخائن(10).

4. الإفراط في الأنانية.

لا يمنع الإسلام أن يحب المرء نفسه، وأن يعمل لخيرها في الدنيا وفي الآخرة.

ما دام ذلك.. في إطار من الإلتزام بشرع الله تعالى فيما يأتي أو يدع، ومراعاة لمشاعر الآخرين، وحقوقهم..

التي يصل بهـا المشرع إلى: "أن يحب المرء لغيـره ما يحـبه لنفسه.

والحسد: يصادم ذلك تمامًا.

حـيث إن علة الحسـد: هي الإفـراط في حب الذات "الأنانية" والرغـبة في جلب كل الخـير لها، بـل في منعه- كذلك- عن الآخرين.

ومن العجيب أن بعض الحكماء يقولون: إن الأناني.. لا يحب نفـسه؛ لأنه لو كـانت له نفس تحب لما فـرقت بينه وبين غيره، إذْ من يحب لا يستطيع أن يكره.

5. وقوع الحسود في ارتكاب الكبائر.

عدَّ أهل العلم الحسد: من الكبائر.

ولذلك:

يقول الحسن البصري: ياابن آدم..!!

لم تحسد أخاك..!!؟

فإن كان الذي أعطاه.. لكرامتـه عليه: فلِمَ تحسد من أكرمه الله..؟

وإن كان غير ذلك: فلِمَ تحسد من مصيره إلى النار..؟

المصابون بداء الحسد

والمصابون بهذا الداء الوبيل: كُثْرٌ، منتشرون بين الناس، وفي دنياهم.

والإصابة به كذلك: درجات تختلف من واحد لآخر، وتختلف من نعمة لأخرى.

ولكن أبرز هذه الفئات المصابة له: ثلاث.

وهي:

1 . إبليس، عليه لعنة الله.

حيث إنه أول من حسد، وأول من عصى بهذا الذنب.

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ * قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ * قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ * قَالَ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ

أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ * قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف:11-18]

وانطلق إبليس: يفسد ويكيد لآدم وذريته من بعده، حتى يكونوا من الغاوين، ومن أصحاب الجحيم، ويكونوا شركاءه في العذاب الأليم.

وانطلق مع إبليس جنود كثيرون.. من شياطين الإنس والجن، أكل الحسد قلوبهم، فصاروا يغوون الناس، ويفسدون في الأرض(6).

2. اليهود، عليهم لعنات الله.

واليهود: هم أرباب الحسد، وأكثر الناس تمكنًا لهذا الداء فيهم.

فهم الذين: أنكروا الحق الذي جاء به عيسى عليه السلام؛ ولذلك- حسداً منهم- حاولوا التخلص منه، لولا أن الله تعالى نجاه فرفعه إليه، وألقى شَبَهَه على من خانه ودلَّ عليه.

وكان داء الحسد كذلك: من أكبر العوامل التي جعلت اليهود أنفسهم ينكرون الحق الذي جاء به محمد ﷺ.

وبالحسد: تآمروا عليه وعلى دعوته، في حياته ﷺ، ثم تابعوا تآمرهم على الإسلام في جميع العصور.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَآ آتَاهُمُ اللّهُ من فَضْله فَقَدْ آتَيْنَآ آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا * فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ [النساء: 51-55].

ولذلك: وصفهم الله بصفة الحسد صراحة، في قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: 109].

وسلالاتهم اليوم: يعملون على طريقة آبائهم الأولين، حيث يفسدون العالم، ويخرجون الناس من الهداية إلى الضلال، ومن الإيمان إلى الكفر، ومن السعادة والإستقرار إلى العذاب والشقاء، حسدًا من عند أنفسهم للبشرية عامة، ولأهل الإيمان خاصة.

والعوامل النفسية فيهم:

ذات أصول واحدة، لقد كانت حسدًا خبيثًا، فتحول إلى حقد دفين، على كل شعوب الأرض، لا سيما المسلمون[6].

3. ضعاف الإيمان، المفتنون بالدنيا.

وأصل الحسد- كما سبق بيانه- الافتتان بالدنيا، والتطلع-ابتداءً- لما عند الغير من النعم.

ولعدم قدرة الحاسد على أن يكون له ما عند المحسود: يركبه الغيظ والكمد والحقد والحسد.

(أ) فهذا قابيل: حسد أخاه هابيل، لما خصَّ الله به من النعم..!!

ولعدم قدرته على أن يكون له ما عند أخيه..!!

ولعدم تسليمه بقدر الله وعدالة توزيعه للنعم..!!

فقد ركبه: الغيظ والكمد والحقد والحسد، على أخيه..!!

وأدى به الغيظ والكمد والحقد والحسد: إلى أن يقتل أخاه.

(ب) وهؤلاء إخوة يوسف عليه الصلاة والسلام:

حسدوا أخاهم يوسف، لما خصه الله به من النعم..!!

ولعدم قدرتهم على أن يكون لهم ما عند أخيهم..!!

ولعدم تسليمهم بقدر الله تعالى، وعدالة توزيعه للنعم..!!

فقد ركبهم الغيظ والكمد والحقد والحسد، على أخيهم.

وأدى بهم غيظهم وكمدهم وحقدهم وحسدهم: إلى أن يفكروا في قتل أخيهم، وألقوه في غيابة الجب.

(ج) وهؤلاء قوم "قارون" : حسدوه على أن آتاه الله ﴿مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾ [القصص: 76]. . !!

ولعدم قدرتهم على أن يكون لهم ما عنده. . !!

فقد ركبهم الغيظ والكمد والحقد والحسد، على قارون.

وأدى بهم غيظهم وكمدهم وحقدهم وحسدهم: إلى أن يقولوا متحسرين: ﴿يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [القصص: 79].

ولذلك: قال لهم الذين أوتوا العلم: ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلاَ يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ﴾ [القصص: 80].

أسباب الحسد

وأسباب هذا الداء الوبيل: كثيرة وذميمة.

أبرزها ما يذكره الماوردي في كتابه "أدب الدين والدنيا".

يقول: اعلم أن دواعي الحسد ثلاثة:

أحدها: بغض الحاسد للمحسرد، وكراهيته للخير يأتيه؛ فيأسى عليه.. بفضيلة تظهر، أو منقبة تشكر، فيثير فيه حسداً قد خالط بغضاً.

وهذا النوع لا يكون عامًا.

والشاعر ينصح المحسود في هذه الحالة بقوله:

اصبر على حسد الحسود

فان صبرك قاتله

فالنار تأكل بعضها

إن لم تجد ما تأكله

وهو: أضرها؛ لأنه ليس يبغض كل الناس.

الثاني: أن يظهر من المحسود فضل، يعجز عنه الحاسد؛ فيكره تقدمه فيه، واختصاصه به؛ فيثير ذلك

الفضل- الذي ظهر- حسداً- عند الحاسد- لولاه، لكف عنه.

وهذا النوع: أوسط الحسد.

حيث إنه: لا يحسد الأكفاءُ من دنا، وإنما يختص بحسد من علا.

وقد يمتزج بهذا النوع ضرب من المنافسة.

فإذا كانت مع عجز: صارت حسداً.

الثالث: أن يكون في الحاسد شحٌّ بالفضائل، وبخل بالنعم.

وليست إليه: فيمنع منها.

ولا بيده: فيدفع عنها.

لأنها: مواهب قد منحها الله من شاء؛ فيسخط على الله عز وجل في قضائه، ويحسد

على ما منع من عطائه، حتى وإن كانت نعم الله تعالى عنده أكثر، ومنحه عليه أظهر.

وهذا النوع: أعمها، وأخبثها؛ إذْ ليس لصاحبه راحة، ولا لرضاه غاية.

فإن اقترن بشر وقدرة: كان بوراً وانتقامًا.

وإن صادف عجزًا أو مهانة: كان جهدا وسقامًا[11].

يضاف إلى ذلك: نوع رابع.

وهو: إعجاب الحاسد بنفسه، وغروره بذاته، وانتقاصه لغيره.

ولذلك: قال إبليس معلِّلاً حسده لآدم بقوله: ﴿أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: 12]

وهذا النوع: عام شائع.

نسأل الله تعالى: الوقاية والنجاة من الحسد ودواعيه، ومن كل ما يغضب الله تعالى.

علاج الحسد

وأما علاج الحسد لمن كان غالبًا عليه، وطبعه مائلاً إليه؛ ليسلم من ضرره وعدواه.. بشرط أن يكون راغبًا في العلاج، صادقًا في عزمه الشفاء منه: أمور كثيرة، حسب التقسيم التالي:

(أ) أمور وقائية.

1. التربية الإيمانية، التي تصحح للإنسان مفاهيمه، وتبصره بعظيم حكمة الله تعالى: في عطائه ومنعه، وخفضه ورفعه، وإعزازه وإذلاله، وفي كل ما تجري به مقاديره، والتي تبصره بأن حكمة الله العظيمة لا تفارق قضاءه وقدره، والتي تبصره بأن الأصل في النعم والمصائب في ظروف الحياة: أنها مجالات امتحان واختبار، وأن الحرمان قد يكون خيرًا للإنسان من العطاء، وأن المصيبة قد تكون خيرًا له من النعمة؛ وذلك بالنظر إلى عواقب كل منهما[6].

وتنتج هذه التربية بالضرورة: اتباع الدين في أحكامه، والرجوع إلى الله تعالى في آدابه.. فيقهر نفسه على مذموم خُلُقِها، وينقلها عن لئيم طبعها، وإن كان نقل الطباع عَسِرًا، ولكن بالرياضة يسهل منها ما استصعَب، ويحبَّب منها ما أتعب[11].

قال أبو تمام الطائي:

فلم أجد الأخلاق إلا تخلقًا

ولم أجد الأفضال إلا تفضلاً

2. التربية على التخفف من الأنانية، وحب الذات والإعجاب بها، واحتقار الآخرين، وانتقاصهم، والاعتراض- بالتالي- على نعم الله عليهم.

وذلك: باتخاذ الوسائل التي تربي في المرء عامة، والناشيء خاصة، حبَّ الاخرين، وعدم النظر إلى ما عندهم بطمع، ورغبة استيلاء، والتي تغذي فيهم: احترام حقوق الآخرين، التي وهبهم الله إياها.

والأدب الإسلامي المطلوب حين يرى الإنسان شيئًا لغيره، فيستحسنه.. أن يقول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله وأن يدعوا لصاحبه بالبركة والخير العميم(6).

3. التربية والتدريب على كف البصر، وعدم التطلع إلى ما في أيدي الناس، مما وهبهم الله من نعم، وما فضلهم به من عطايا وهبات.

وذلك: بحصر التطلع الدائم إلى عظيم فضل الله، وبحور خزائنه التي لا تنفد.

وقد أرشد القرآن الكريم إلى هذه الوقاية.

في قوله تعالى للمؤمنين: ﴿وَلاَ تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ اللّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُواْ اللّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء: 32].

وفي قوله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: 88].

وفي قوله سبحانه: ﴿وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: 131].

ففي هذه النصوص: نهى عن الحسد ومد العين وتوجيه إلى سؤال الله من فضله[6].

(ب) أمور علاجية.

1. الرضا بقضاء الله.

حيث إن ذلك يساعد على الاستسلام للمقدور، حتى لا يغالب قضاء الله؛ فيرجع مغلوبًا، ولا أن يعارض سبحانه في أمره؛ فيُرَدّ محرومًا مسلوبًا.

يقول محمود الوراق:

قدر الله كائن

حين يُقْضَى ورودُه

قد مضى فيك علمه

وانتهى ما يريدُه

وأخو الحزم حزمه

ليس مما يزيدُه

فأرد ما يكون إن

لم يكن ما تريدُه

وهنا.. إن أظفرته السعادة بأحد هذه الأسباب، وهدته المراشد إلى استعمال الصواب: سلم من سَقامه، وخلص من غرامه، واستبدل بالنقص فضلاً، واعتاض من الذم حمداً.

2. استعمال عقله.

حيث إن العقل الواعي السليم.. يستقبح من نتائج الحسد مالا يرضيه، ويستنكف من هجنة مساويه، فيذلل نفس صاحبه أنفه، ويطهرها حمية.

وبالتالي: تذعن النفس لرشدها، وتكف عن غيها، وتجيب إلى صلاحها.

ومن المعلوم: أن هذا يصح من صاحب النفس الأبية، والهمة العالية.

وإن كان- من الطبيعي- أن ذا الهمة يترفع بنفسه عن دناءة الحسد[11].

يقول الشاعر:

أبيٌّ له نفسان: نفس زكية
ونفس إذا ما خافت الظلم تَشْمُسُ

3. استقباح حاله.

حيث ينبغي أن يرى مكانته في نفسه أبلغ، ومن الحسد أبعد.

وبالتالي: يستقبح من نفسه أن يكون خاسرًا فيستدفع ضرره، ويتوقى أثره، ويستعمل الحزم في دفع ما أكَده وأكمده؛ ليكون أطيب نفسًا، وأهدأ عيشًا.

يقول الشاعر[11]:

بصير بأعقاب الأمور كأنما
يرى بصواب الرأي ما هو واقع

4. أن يخشى ابتعاد الناس عنه.

حيث إن الناس، تخشى الحاسد، وتبتعد عن الاختلاط به، إحساسًا بخطره، وتجنبًا لضره.

وهو إذ يرى نفور الناس منه، وابتعادهم عنه: يجب أن يخاف على نفسه من عداوتهم، أو على عرضه من ملامتهم.

ولذا ينبغي عليه: أن يتألفهم بمعالجة نفسه، ويراهم إن صلحوا أجدى نفعًا، وأخلص ودًا؛ حيث إن المرء- كما يقولون- قليل بنفسه، كثير بإخوانه.

يقول الشاعر:

لا تحسبوني غنيًا عن مودتكم

إني إليكم وإن أيسرت مفتقر

(ج) أمور من المحسود.

إعلم: أنه بحسب فضل الإنسان، وظهور النعمة عليه.. يكون حسد الناس له.

فإن كثر فضله، أو ظهرت نعم الله عليه: كثر حساده.

وإن قل فضله، أو استتر نعم الله عليه: قل حساده.

ولذلك: ينبغي على صاحب النعمة.. أن يسترها، ويعمل على عدم لفت الأنظار إليها؛ فذلك أدعى إلى عدم الحسد لها، والإيذاء لصاحبها.

فإن ظهور الفضل يثير الحسد، وحدوث النعمة يضاعف الكمد..!!

ولهذا يقول ﷺ معلمًا ومعالجًا: "استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان؛ فإن كل ذي نعمة محسود"[12].

ويقول الشاعر:

إن يحسدوني فإني غير لائمهم

قبلي من الناس أهلُ الفضل قد حسدوا

فدام لي ولهم ما بي وما بهم

ومات أكثرنا غيظًا بما يجدُ

هذا.. وربما كان الحسد منبهًا على فضل المحسود ونقص الحاسد، كما قال أبو تمام الطائي:

وإذا أراد الله نشر فضيلة

طويت أتاح لها لسان حسود

لولا اشتعال النار فيما جاورت

ما كان يعرف طيبُ عَرْف العود

لولا التخوف للعواقب لم يزل

للحاسد النُّعْمَى على المحسود

وقد يقول قائل: أليس هناك تعارض بين: هذا الستر المطلوب، والإخفاء المقصود للنعمة، وبين الأمر بالتحدث

بها، كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: 11]..؟

ونقول لا تعارض بين هذا وذاك[13].

حيث إن النعمة المشار إليها في الآية.. كما قال العلماء؛ هي:

1. إما أن تكون.. القرآن الكريم؛ فإن القرآن أعظم نعمة، والتحديث به: أن يقرأه، ويقرئ غيره، ويبين حقائقه.

2. وإما أن تكون.. النبوة.

والتحديث بها: أن يبلغ النبي ﷺ ما أنزل إليه من ربه.

3. وإما أن تكون.. التوفيق لرعاية اليتيم.

والتحديث بها: إظهار هذا التوفيق والرعاية؛ ليقتدي به غيرك.

وقد سبق ذكر حديث النبي ﷺ: "لا تحاسدوا إلا في اثنتين.....".

وأما النعمة التي موضوع بحثنا.. فهي غير ذلك على ما سبق ذكره وتوضيحه في الصفحات السابقة.

المصادر.. والفهارس

* مصادر البحث.

* فهرس محتويات البحث.

المصادر.. والحواشي

1. ابن قتيبة.. عيون الأخبار 9/2 (بتصرف).

2. رائد فؤاد.. الأمراض القلبية 48.

3. رواه: البخاري..ك: التوحيد- واللفظ له- باب: قول النبي [: "رجل آتاه الله..الخ".

مسلم.. ك: صلاة المسافرين، باب: فضل من يقوم بالقرآن..إلخ.

4. البخاري.. ك: الأدب، مسلم.. ك: "البر والصلة" واللفظ لمسلم.

5. الترمذي..ك: صفة القيامة، وله شواهد تحسنه، انظر جامع الأصول.

6. عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني.. الأخلاق الإسلامية 804/1 وما بعدها.

7. النسائي، وقال الألباني: حسن.

8. ابن عبد ربه.. العقد الفريد 320/2، وما بعدها.

9. أبو داود.. عن أبي هريرة.

10. الراغب الأصبهاني.. محاضرات الأدباء 252/1.

11. الماوردي.. أدب الدين والدنيا 261، ومابعدها.

12. رواه: الطبراني.. في الكبير، وأبو نعيم.. في الحلية، والبيهقي.. في شعب الإيمان (انظر: جمع الجوامع.. للسيوطي 106/1).

13. الفخر الرازي.. التفسير الكبير.. (تفسير سورة: والضحى).

فهرس محتويات البحث

فهارس البحث